حوار الناس

لم يكن تسجيل هذه الوقائع وليد لحظتها، ولا هي رغبة مثقف يتوسل بالكتابة عن المأساة العراقية، بل هي حاجة نفسية فرضتها ظروف الحروب الكثيرة كي نفرج بها عن كرب لازم حياتنا منذ الطفولة، فنحن جيل حكم عليه بالعذاب المستمر. شبابنا ثورة 1958، ويفاعتنا دموية شباط 1963، ونهوضنا دموية 5 حزيران 1967 ثم دموية تموز 1968 في العراق، ثم حرب اكتوبر 1973 ثم دموية الهجوم الداخلي على القوى التقدمية عام 1979، ثم الحرب العراقية- الإيرانية 1980، ثم حروب الانفال والشمال والأهوار بين عامي 1982-1989، ثم دخول الكويت 1990 ثم حرب الخليج الثانية، ثم الهجرة عن العراق وما زلنا نعيش أزمات كل هذا العمر بفعل الحصار الدولي والداخلي. وكأننا قذفنا من رحم مجهول أبوته العراقية. فغدونا بين فترة قصيرة وأخرى أبناء لبلدان كانت جزيئات من درس التاريخ في مدارسنا.

يوميات حرب

ياسين النصيّر

وبتنا معلقين بين سماوات المدن المجهولة. فالهجوم الجوي الذي ابتدأ في 17-1-1991 على العراق لم تبتدئ به الحرب، بل كانت البداية نتيجة لحروب سرية ومعلنة، خاضها العراق ضد شعبه وجيرانه أولا وخاضتها دول كبرى ضد العراق ثانيا. كي لا تكون اليوميات بديلا عن التاريخ. حاولت أن ارسم فيها صورة عن واقع عشناه وعن ظرف تملكنا كليا وعن أناس قالوا ومشوا وآخرين انفعلوا وماتوا فيها. يوميات اقل ما فيها قربها من مواطن الحدث ورؤيتها الجزئية لافعال كبيرة وكلية وشاملة هي حرب غطت العراق كله من شماله إلى جنوبه وما حدث في بقعتنا الصغيرة كان دالة من دوال كثيرة قد تفوق تصورا وحدثا وواقعا ما دوناه وقلناه في هذه النتف من مسيرة ناس علقوا عيونهم في سماء تمطر القنابل وفي ارض تحتلها أقدام وبساطيل مدججة بالأوامر وما بين الاثنين أجسام العراقيين الراكضة والمختفية والحاملة البنادق. فهي نزيف مستمر من التصورات الذاتية والجماعية، القريبة من الحقيقة حد الجرح، والبعيدة نسبيا عنها.. جانبها الواقعي معاش وجانبها المفترض مسموع ومتداول. يوميات عن حرب حدثت فوق ارض استبيحت من قبل الجميع، سلطانه الحاكمة أولا، والقوى الأجنبية المدمرة والتي لم تنته استباحتها للعراق بعد ثانيا. بل إن الطرفين مارسا وما زالا يمارسان لعبة إذلال مهينة للشعب العراقي كله. وكأنه شعب لا يستحق الحياة. فقد كانت نزعة الحرب نزعة دفينة في الأيديولوجيات المتبناة. بعض أسبابها التي نتيجة للوهم الإعلامي عن قوة الجيش العراقي التي لا تقهر. وبعضها جاء نتيجة وهم القوة التي يصنعها المال الفائض - دخلنا الحرب مع إيران ولدى العراق 37 مليار دولار احتياطا - ونتيجة لحسابات مخطوءة ولحسابات غير مقدرة جرى توجيه الإعلام العراقي كله بما فيه الثقافة وكل أنشطتها، نحو تأكيد مسعى لشن الحروب. لتنتهي النزعة بعسكرة المجتمع العراقي كله، ليس بدافع الهجوم على إسرائيل أو لصد الهجوم الإسرائيلي المحتمل، ولا بمساندة الدول العربية المواجهة لإسرائيل كما تطلب ذلك ما بعد 1967، بل التلويح بسلاح النفط عالميا. مرة أخرى انه وهم "الانتصار" الذي يتغنى به البدوي عن ما تمتلئ جيوبه بمال النفط... وعندما كنا نرى المجتمع العراقي في السبعينات وهو يبني نفسه في ورشات عمل ليل نهار كنا نستشعر "بالنشيد العمالي" اليومي العالي النبرة. فقد كانوا بالفعل يريدون تغيير العراق نحو الأحسن، وجعله دولة متقدمة. ولكن سرعان ما خفت النشيد، وضاعت كلماته الوطنية بين أصوات العربات العسكرية المزمجرة المتجهة في كل الاتجاهات. فكنا نعيش أحداث أحدى حكايات ألف ليلة وليلة الوهمية عندما تزوج شهريار الملك بشهرزاد. فتطلب العروس من شهريار وهي تحكي له حكايتها الأولى، في ليلتها الأولى، أن يبني لها "بيتا" عراقيا تحيطه بسياج حديدي مسلح، وبجند متعددي القوميات والأفكار لا لتحمي به نفسها من العشاق والمتربصين المحيطين بها، بل لتعززه بوحدتها الوطنية وبترجيع أراض احتلت في الجوار والوقوف بوجه أي اعتداء كلما تطلب الحاجة إلى ذلك. وتطلب شهرزاد في حكايتها الثانية، في ليلتها الثانية من شهريار الملك أن يحيط الـ" بيت" العراقي المتسع، بسياج متين لا يعيش فيه إلا من يكونون جندا وحراسا لها. ثم تطلب في حكايتها الثالثة في ليلتها الثالثة أن يكون الـ "بيت" العراقي مسلحا بأسلحة جديدة، وبسياج منفتح الأبواب والنوافذ على أبناء المحيطات والدول الأجنبية والعربية ولكن لا يعيش فيه إلا من ترغب فيه، بينما يعيش من تختلف معهم في بلدان أخرى. ثم تطلب منه في ليلتها الألف أن يتسع بيتها ليشمل البيوت المجاورة ويصبح شهريار ليس ملكا على المملكة الصغيرة وعش الزوجية بل على دول الجوار. وصادف أن انسجم هوى الوزير مع هوى شهرزاد فاقنعا شهريار بغزو الجيران أملا في تحقيق أحلامه لكن الوزير وشهرزاد يعرفان أنها الخطوة التي توقع شهريار الملك في وهم السلطة وبعد أن يتمكنا منه يغدران به ويلقيان به في جوف بئر في رمال الأنبار. وفي الخلف تبقى رغبة الوزير وشهرزاد مقنعة فقد يفعل المستقبل مما خططا له وتعود تلك البلدان المغزوة ثانية لبيت شهرزاد ولكن من دون شهريار.

فسبب الحرب مع إيران لم تكن الحدود الموهومة بين البلدين، ولا أراضي زين القوس، ولا مياه شط العرب أو مياه نهر كارون التي تندلق منسابة في البحر، ولا الجزر العربية في الخليج، ولا القنبلة اليدوية في الجامعة المستنصرية التي ألقاها نفر ليؤجج فيها المواقف، ولا الحكام الجدد في إيران، بل الحرب كانت تأكيدا لنزعة دفينة لكل الأطراف تذرعت بحجج إعلامية وواقعية. منها السعي لمد الوجود العراقي إلى الخليج بعد زيادة ثرواته المالية والبشرية، بحجة ميزات خاصة لرسو ناقلات الأسطول العراقي المتزايدة العدد ولجعله أسطولا بموانئ خليجية أسوة بأساطيل الغرب. ثم بوجود نافذة أسواق أوسع للعراق على العالم. إنها يوميات عن حرب قامت وحرب ستقوم، وحرب بدأت ولم تنته وحرب واقعية معاشة وحرب وهمية مفترضة. وتزامنا مع كل ما حدث امتلأت الأسواق في عموم مدن العراق بمئات الأشكال الحديثة من البضائع المستوردة والمصنعة التي لم نرها من قبل. وكأن الحرب بصورتها الثانية بضائع مكدسة في الأسواق. في حين إن ما تحت العباءة من خطط تدميرية للعراق كانت تتم برغبة دفية وبإرادة مقصودة من حكام حلفاء، عرب وغربيين وإسرائيليين. تمكنوا من خلال شحن الحكام العراقيين بدعاية وإعلان "الانتصارات" السابقة كي يوقعوهم في فخ الهزيمة- الانتصار. أما الشعب العراقي المغلوب على أمره، فقد كان في كل نداء يتوجه به لله أن ينجيه من غي المستبدين، كان الله يبتعد في سماواته عن العراقيين. يا للمفارقة!.

بدأت بكتابة اليوميات بعد أيام من بدء الهجوم الأمريكي البريطاني الفرنسي على العراق. في 17-1-1991 وكانت يوميات مشحونة بالموقف اليومي المجزأ، حيث لا معالم واضحة لك ولا مقاييس لتقيس بها ليلك أو نهارك، عدوك أو صديقك. بل كانت أياما جحيمية نهضت من قاع العالم الأسود لتصب غضبها على وطن الحضارات والأديان. كتبتها وأنا ممتلئ بالخوف من أن تقع بأيدي الأمن والمخابرات الذين كثيرا ما كانوا يزوروننا بين حين وآخر غير مدعوين بعد أن انتهت التحالفات الجبهوية الناقصة، فمزقتها محتفظا بخطوطها العامة. ولكني عدت إليها ثانية أثناء القصف- ليست لك الفرصة في لحظة القصف وسقوط القنابل لتدون كل ما تراه وتعيشه وتعرفه. فأحيانا تكون على استعداد نفسي لأن تدون ما عشته، وأحيانا آخر تؤجل ما رأيته وعشته للحظة مناسبة. فأنت مثل غيرك في دوامة البحث عن ذلك الذي فقدت. فكانت في بدايتها خطوط عامة عما كان يحدث يوميا بمنطقتنا الصغيرة في بغداد. حيث كان العالم بالنسبة لنا نحن المنزوين في بيوتنا قبل القصف وبعده هو: البيت وما يحيط به... ومع ذلك تجد نفسك تكتب سواء إن مسكت القلم أم إن حفظت ما رأيته وعشته. ولما انتهى القصف ولم تنته الحرب وبدأنا نعيد لأنفسنا استقرارها ثم لنرمم أوضاعنا للأيام المقبلة، بدأت بتدوين اليوميات مرة أخرى. فكسوتها باللحم والدم بعد أن كانت عظاما جرداء. ولكني لم أكملها أيضا.

في الأشهر التي تلت نهاية القصف وإعلان بوش الأب وقف الهجوم على القطعات العراقية في 28-2-1991، بدأت فصول أخرى للمأساة العراقية، تلك هي انتفاضة الجنوب العراقي ووسطه وشماله. ثم فصول قمع الانتفاضة وما لحق ذلك من تدمير مستمر للذاكرة العراقية. ففي هذه الفترة كنا غائبين عن الكثير من المواقف وليس عن الكتابة فقط. فما تلى الحرب من أيام كانت اشد وقعا علينا من أيام الحرب نفسها. حيث بدأت الحكومة تعيد ترتيب البيت العراقي وفق هواها، وتحت وهم " الهزيمة- الانتصار" أيضا. بدأت بتمشيط العراق عن بقايا الانتفاضة وعن المنتفضين والأسلحة. فالخسارة في الحرب تحولت إلى "انتصار" للحكومة دون أن نعرف كيف حدث ذلك. وبدأ الناس في حيرة من أمرهم، هل يعيدون ترتيب أوضاعهم وفق ما آلت إليه النتائج؟ أم أنهم يخضعون لمتطلبات السلطة التي بدأت بتمشيط كل حارة ومنعطف وبيت بحثا عن جند وأسلحة؟. فالهزيمة حولتها السلطة إلى زحف ولكن إلى الداخل !!. رغم أن السلطة كانت طوال فترة القصف الدموي على العراق غائبة تماما عن الداخل، وعندما حضرت، حضرت بقوة بعد أن أعلن بوش وقف الحرب.. حضرت بسكاكينها الدماة بدم العراقيين. مستعينة بقوة قرارات خيمة صفوان وبمجلس الأمن وبالأمم المتحدة على الشعب أيضا!!.

وحضر الحلفاء، رغم أنهم كانوا بعيدين عنا، لكنهم حضروا، ومارسوا تعذيب الناس من خلال قرارات خيمة صفوان مشفوعة بالحصار الدموي، وبعنف السلطة على شعبها أيضا. وحضر الشعب الذي كان غائبا طوال الأشهر الثمانية، وعندما حضر، حضر وهو ملفع بلافتة سوداء يسير بالركب الشهيد إلى مقابر النجف وأبو غريب. تاركا السلطة والحلفاء يمارسون امحاء الهوية الوطنية للانتفاضة.. لا أحد من هؤلاء الثلاثة- السلطة والحلفاء والشعب- كان غائبا عنا. فإن غاب أحدهم توجسنا خيفة مما سوف يحدث وكأننا نستدعيه. فالناس كانت بحاجة للسلطة، حاجتها لملء الفراغ السياسي ولو مؤقتا. وبحاجة أيضا للحلفاء، حاجتهم لحماية أنفسهم من غل السلطة وبطشها اليومي. وبحاجة لصوت الشعب، حاجتهم لوضوح الرؤية المستقبلية للعراق. ولكن لا احد من هؤلاء الثلاثة كان قادرا على صياغة وجود حقيقي للعراق المدمر. فالسلطة اكتفت بأن مارست عادة "التدمير" للشعب من خلال "الصيانة" لنفسها ولمؤسستها العسكرية. والحلفاء اكتفوا بأن مارسوا احالة "التدمير" للعراق من أجل "صيانة" مواردهم في منطقة الخليج العربي. والشعب حاول من خلال انتفاضته غير المدروسة أن "يصون" نفسه من خلال "تدمير" السلطة ولكنه مارس تدميرا "لنفسه" و"صيانة" للسلطة من خلال عدم القدرة على الفعل المنظم. وها هي السلطة تعيد ترتيب بيتها بالسلاح والقمع والدم وكأن العدو الحقيقي لها هو في الداخل، بعد أن انهزموا أمامه في الخارج. وها هم الحلفاء يعيدون ترتيب وجودهم الدائم في المنطقة من خلال الشرعية الدولية المفروضة على العراق. وها هو الشعب يريد إعادة ترتيب وجوده ولكن إما من خلال خضوعه للقمع، أو تمرده المخجل بالهجرة من العراق!!. فأي يوميات تكتب ولا يلوحها نثار التدمير هذا!؟ وأي كتابة تتوجس منها أن تكون شاهدة على ما مر والأيام نفسها حبلى بمستقبل أكثر تدميرا؟. لذلك لم أكملها في تلك الفترة أيضا، ولم أهملها. ولما سافرت مهاجرا، حملتها معي خطوطا في دفتر صغير. رحلت معي لعمان الأردن، حيث بقيت سنوات ثلاثا تنتقل من بيت رطب إلى آخر أكثر رطوبة. و استضافتها دمشق سوريا لمرتين بعد قليل من الأشهر. حيث كانت تتوسد معي السرير البارد والرحلة اليومية بين مشفى وآخر. وكانت اليوميات تشرب معي المر الليلي وتنام حيث تستيقظ لتؤذن صلاة الفجر وفي الوقت الذي نستمع فيه لأغاني فيروز والقبانجي كانت تكتب هي أغنيتها الحزينة من خلال حياة مغترب بين أهله وعمومته. دخلت معي المطارات وبيوت النسوة وأسرة المرض والمستشفيات، وقاست مثلي من آلام القلب، وأصابها ما أصابني من وحشة ونبذ وغربة ووحدة وشوق للأهل والأحبة. وفي إحدى المرات وأنا عائد من دمشق إلى عمان بعد أن انهي عملي في مجلة المدى. عثر عليها شرطي الحدود الأردنية، وقرأ منها بعض أسطر. وعلى الفور قال أنك من المعارضة. ولما دلف غرفته ومعه الأوراق المدونة، خفت عليها. لكنه عاد بها مرة أخرى ومعه ضابط بلباس مدني ليقدمها لي قائلا: تفضل أستاذ كن رحيما بنفسك وأخف ما عندك. فالأردن بلدك أيضا ونحن أخوتك. ثم رحلت معي إلى هولندا، وكدت افقدها للمرة الثالثة، عندما دخلت المستشفى لإجراء عملية القلب. فقد تركت حقيبتي في غرفة صغيرة في الكمب في مدينة أوستر وايك الهولندية، فسرقت الحقيبة وما فيها، وسرقت لوحات الفنان هاشم حنون التي كانت معي إلا من اثنتين. وسلمت هذه اليوميات لأنها كانت تحت السرير. وفي هولندا بعد العملية أعدت كتابة بعضها. نشرت منها يوميتين في جريدة الحياة. ولكني في كل مرة اقرأ ما كتبته أجد نفسي مدفوعا بدافع خاص لأن أعيد كتابتها خاصة بعد مجيء بعض أفراد أسرتي لهولندا، وإعادتنا استذكار ما حدث لأضيف لتلك الخطوط ما كنا قد عشناه معا. فكان بعضه مضحكا يثير السخرية، وبعضه مبكيا يثير الضجر. وفي كلا الموقفين كان كل ما كتبته جزءا من حياة عشناها رغما عنا. وقد بقيت هذه الذكريات سنوات عشرا بين الإهمال والتنقيح كي تر النور. والسنوات هذه كان بإمكانها أن تلغيها أو أن تحذف منها ما كنا نتصوره معلومات ناقصة لكنها- أي السنوات- أضافت إليها معلومات جديدة جعلتها منفتحة على مواقف وقضايا أوسع بعد إن كانت تلك القضايا مجرد إشارات فيها. مما يعني أن ما حدث في تلك الأيام بقي في حلقة دائرية مبهمة. لا النظام تخلى عن وهم "انتصاراته" المدمرة الهوجاء. ولا الحلفاء تخلوا عن تدمير العراق وبحصارهم على الشعب. ولا الشعب استلم إرادته الغيبة من قبل حكامه وحلفائه ونفسه. لذا فما كتبته يخرج من كونه يوميات فقط، ليصبح صرخة باتجاه الأعماق، ترتوي من تفاعلات أحداث مرت، وتمهد لأحداث مقبلة. فنصها مفتوح على الاحتمالات النوى، تلك التي كانت في رحم السلطة وتوجهاتها المدمرة. وتلك التي كانت في رحم القوى الصهيونية والغربية وتوجهاتها في احتلال العالم عن طريق العولمة والسوق المشتركة وصندوق النقد الدولي. وتلك التي عشناها كشعب معطل بعد الحرب العراقية الإيرانية.. وسيبقى النص مفتوحا على ما يستجد. فالقضايا التي كانت مبهمة تنكشف الآن يوميا، ليست لأنها لم تكن لها مفردات واضحة يوم بدأت الحرب، وإنما تحولت إلى مشاريع عمل لاحقة للقوى الأجنبية جاء بها النظام لعتبات بيوت العراقيين راغبا ومرغما. فقد بقيت إسرائيل ولم تنهها الصواريخ العراقية التي انفجر نصفها قبل أن تصل، وسقط ثلثها خارج مداه، وأصابت القلة منها أهدافها ولم يصب مفاعل ديمون في إسرائيل كما أصيب مفاعل تموز في العراق. وبقيت الكويت دولة مستقلة بل وأكثر حضورا في الذاكرة الدولية من خلال انفتاحها المتسع على ما تريده الدول الغربية في المنطقة. وبقيت الأمم المتحدة كما هي أداة بيد قوى الاستبداد. فقضايا مؤولة ومنفتحة على احتمالات الأيام المقبلة. هذا ما سارت عليه هذه اليوميات. فما زال العراق ساحة تصلح للاعبين محترفين آخرين وهو ما تحمله بطون الأيام القادمة.. وهذا ما يجعل مثل هذه اليوميات مجرد قراءة في سجل مفتوح. وقراءة في أحداث لم تحسم بعد، وقراءة في مواقف تتغير يوميا، وقراءة في رأي تقرأه من أوله كما لو كنت تقرأه من آخره. نص ملتبس، مبهم، منفتح، وعلينا أن نكتبه بحروفنا العربية.

فهد الأسدي.. وجنود الشتاء

محمد علوان جبر

أقام المنتدى الثقافي الإسلامي احتفالية للقاص المبدع - فهد الأسدي -. ويتميز القاص الأسدي بخصوصيته القائمة على واقعية ومنهج إبداعي سلكه منذ البدء في مجموعته البكر - عدن مضاع -. وإضافة أخرى عن فهد أنه وفي أوج عطائه اختار الصمت إزاء كل صخب مكائن الطباعة الحكومية وهي تضخ إلى الأسواق ما كانت تريد ترويجه.. وأختار هو الإنزواء بعيداً عن دائرة الضوء، ولم يحفل بالدعوات التي كانت تنهال عليه ليكتب ما يرضي المؤسسة الثقافية واستعان بالمحاماة فقط مهنة اعتاش منها فكان حقاً من الوجوه البيض التي احترمت الكلمة وبقيت وفية لها. قدم الأمسية الشاعر يوسف المحمداوي بكلمة المنتدى، لخص فيها مسيرة المبدع، وأهمية التكريم والاحتفاء، أعقبه الأستاذ- ناظم السعود- بكلمة مؤثرة وشكر فيها المنتدى لأنه كسر التقليد- المفارقة- في الاحتفاء بالمبدع بعد موته حصراً وعرج على مسيرة فهد القصصية، وكونه يعتمد الواقعية في الكتابة، وأكد أن العالم يتسع ويكبر بالمحبة واستذكار المبدعين ثم تلاه الشاعر - الفريد سمعان - وتحدث عن زمالته للقاص فهد الأسدي في المهنة - كونهما يزاولان المحاماة مهنة لهما- وعن نشاطات فهد كونه قد كتب عن أغلب شرائح المجتمع، وبالمقابل كتب عنه الكثير.. وأشاد بالمنتدى مؤكداً أننا بمثل هذه المبادرات نستطيع أن نقدم الشيء الكثير إلى المسيرة. وقدمت شهادات من القصاصين حسن كريم عاتي وعامر حمزة، وناظم العبيدي، وفسح المجال للقاص فهد الأسدي الذي نهض بصعوبة مستنداً إلى كتف الفريد سمعان كان التعب واضحاً على وجهه - بسبب الجلطة الدماغية الساكنة في جسدي - كما قال فهد وهو يتحامل على نفسه، وواصل الحديث - تعرفون معنى عبارة (جنود الشتاء) - لقد استوقفتني هذه العبارة وأنا أطالع رواية - المواطن توم بيل- لدينشار دبيرت، أرى أن هناك الكثير من أوجه الشبه بين - جنود الشتاء - وبين القلة التي لم يعنها النظام السابق - والعبارة كما فهمتها لاحقاً- أن الشتاء لا يحمل ضرورات الحياة.. فالجنود الذين يطاولون في الشتاء.. دائماً هم قليلون.. الوفاء يجب أن يكون لهم لأنهم وبحسابات المطاولة خارقون. وخاطب الكتاب إن ما يديم العلاقة بينهم وبين القارئ ليس وضع أسمائهم على الورق، بل هو ديمومة وتواصل القاص فترات صمت امتلأت بالعبرات

للحروب سواد ربيتها.. وأمي تتمر أولاداً

علاوي كاظم كشيش

مثلما أرضع ليمونة. أمسكت بحياتي وقشرتها من الدبق والحروب. ولم أجد أمي. تلك البعيدة وراء ليل عباءتها. الحزينة. الفراتية. النخلة التي تهتز فتتمر أولاداً وتنش عنهم الحروب فتتخذها البساطة. قالت الحرب: أنا أمهم. وقالت المدرسة والكتب والليالي والنايات والحقول: نحن أمهاتهم. والبعيدة أمي. شاعرة تقفي الدمع والقمح وتدلي ثدييها كل غروب في التنور وتذب الزهراء. إنهم أولادك يا مفجوعة. فاشفعي لهم. كانت الحروب تأكل ستائر أيامها والشجن الأخضر يغزوها. يا رب لم أعطيتنا إياهم...

مثلما أركل خنفساء. أمسكت بحياتي كلها. وقلت: إذهبي. لم تعودي حرة وجريئة. إذهبي. فأنا مكانك أحيا وأنظر إلى الغيم لأنحته قطعان غزلان أو ذئاب. لي حرية من نصال وزهور ولي حرية الكتابة التي تعلمني الكتابة. لم يجد أحد مثلي كيف تفصح المياه ويلغز الناي ولم ير أحد مثلي كيف يصهل الجذر وكيف تشع أنوثة الشجرة. صار لي أن أغني وأن أعيد تسمية الأشياء. أيها العلم خدعتني كثيراً.

*هذه ليست ساقية. إنها أفكاري وأنا تحت التنوير أقول لصديقي سنكون مزبلة قتلى بعد الهجوم. سيفتتح الصباح عن كومة جثث ودع البلابل لشعراء المكاتب.

*هذه ليست امرأة إنها سحابة من عسل لن تصبح كلمات وشعراء الغزل ستتساقط أسنانهم.

*هذه ليست قصيدة بل معتقل للفكرة وقفص للجمل البليغة..

أطير بعيداً. وأشتهي من الليالي عواصفها ومن الحقول تراتيم سنابلها ومثلما أرضع جوزة من شقلاوة وضعت حياتي تحت حجر السؤال وقلت: بيضي الآن. لن تخرج منك حورية وإذا بضت لنا حرباً فأنت ناشز وسأحيا أنا وأغني.. سأغني. سأغني. يا شعراء الهذيان.. لماذا كذبتم على الكلمة وقلتم لها أنت شجرة من الشموع. ولماذا طردتم طفولتكم ولطختم بسالة الشعر؟.

أنا البدوي الحضري القروي. الصاعد إلى العناقيد الحامضة أقطف سؤالاً وأنزل لأعيد ترتيب خطواتي بين ألغام الفضيحة. من قال هذا شعر. من رمى الشعر بالكلمات الداجنة. ومن فضح ليل الغابة بالطباشير. وأضح مثل الأم هذا الشجن. قالت الحرب: أنا أمهم وقالت: الغابة والحقيبة واللافتة والشعارات والطلقات.

لماذا تخضر المقابر بعد دفن أمي. تلك التي بعثرت خرز أيامها ليضحك العقيق في قلبي. وانتظرت صباها كله وأنا أعود من المدرسة. أمي. أصطدت اليوم كلمة. ولكنك اصطدت أبعد حبة هيل في روحي. إن شئت تخذها أما كما تريد. ولكنك لا تحسن رصف الأمهات. قالت الحرب: أنا أمه. وقالت: الغربة والفتاة والدولة والأيديولوجيا.

أنا الصبي الكهل الحكيم النزق. قلت: أبي إن أمي جاءها الطلق. قال: لقد اخضرت وسيلعب ظلك معك. لقد لعبت كثيراً وهذا تراب الحروب على صدغيك. أبي ما الحروب؟ أن تشتهي ليلاً وتنزله كما تريد. ولكن الليل ينزل كل يوم يا أبي؟ لتبيض الحروب حروباً. أبي ما السحابة؟ براءة بيضاء شرشف طائر ليحمر بسواد الحروب. عرفت الكثير عن الحرب يا أبي. لأنها عرفتك كثيراً. إذهب إلى أمك وقل لها لا مسامير في جذع أبي.

أيكما الشجرة يا أبي؟ أنت. وأمي؟ أمك.

قالت الحرب: أنا أمهم. وقالت الزلازل والينابيع وبساتين السواد والجبهات والخنادق والشوارع المعسكرة.

أتسكع بين العبارات وأغني. بين شفتي سيجارة أنفخ سخريتها لنظام المرور وأتلصص على الشرفات. دائماً أجد حبال الأنوثة والغنج نازلة لأصعد. أفهم جيداً كيف ينضج دبس الأنثى في الظهيرة وتفوح روائح شهوتها. وكيف تتدلى أفعى الضفيرة بعناقيد الغواية. لم أقل للظهيرة أمي. قالت الحرب: أنا أمه. وقالت الوشايات والمخاوف ودوائر الأمن والملفات السرية والمعتقلات.

ترشح الدواوين شعراء شعراء. يضيئون بين القوافي ومجازر الكلمات. يعطشون وينادون أمهاتهم (الخديعة باسلة). أطفأوا امارة عقلهم ليغنوا الهوى في محبرة جماعية. بلا أمهات. يرعون أحجار متاهتهم. بلا أمهات. قالت الحرب: أنا أمهم. وقالت: الأوتار وأسراب الحجل على الجبال والصحاري.

من الشعر التركماني العراقي

د. عبد اللطيف بندر أوغلو

صور متقطعة
إلى الذي لم تهزه العواصف
ولم ترهبه المشانق.
1- الصورة الأولى
تفتحت كل الجروح المتقرحة
المتورمة واندملت
أثر سقوط الهياكل
الممزوجة بدم الشهداء.
2- الصورة الثانية
تفتتت الأحجار
اشتدت العواصف
رعدت السماء
حينما هرب الطغاة.
3- الصورة الثالثة
ملايين حملوا الأرقام
في وطني
ونسوا أسماءهم
ملايين قطعت أوصالهم
نبحت أحلامهم
ملايين دفنت في حفر
كتمت أنفاسهم
بكت الشمس في وطني
حينما هربت ملايين
إلى الغربة قسراً.
- الصورة الرابعة
وطن فاقت جراحاته
كل الجراح.
وطن تحولت أرضه
إلى مقبرة جماعية
تحجرت قصص أليمة
في داخل كل جمجمة
قصص ينتن منها الكون
قصص جبلت بالحديد والدم.
5- الصورة الخامسة
بملء العيون
ولدت مسرة
بين الأرض والسماء
عم الضياء المعتق
بأغاني الكادحين
الصادحة بها أفواههم.
انبلج الصباح من جديد.